

على (ع) في عهد الخلفاء الثلاثة

السَّيِّد صدر الدين القبانچي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قبل البدء

الطريق الأول: المنازلة

الطريق الثاني: الاعتزال

الطريق الثالث: المجاملة

الطريق الرابع: التعايش السياسي

مناهج العمل

قوى الحكم تعزل التشييع

المنهاج الجديد

طبيعة الانفتاح

التحرك الشيعي

توجس الخليفة

تحرك القوى الانتهازية

التآمر على الخليفة

فهم المرحلة

الشورى السداسية

قبل البدء

قبل أن نتناول بالبحث موقف الإمام على (ع) من الخلفاء الثلاثة، نودّ أن نستوضح موقفه بعد رسول الله (ص) مباشرة، وما هي الأمور التي حجت بينه وبين تسلّم الحكم. فالثابت تاريخياً أنّ الإمام لم يشترك في مؤتمر السقيفة الذي حضره الأنصار وحضره من المهاجرين أبوبكر وعمر وأبو عبيدة، وهو في ذات الوقت لم يجب دعوة العباس حين قال له: " امدد يدك أبياعك فلا يختلف عليك اثنان "، وقد علل رفضه لهذا الطلب بالقول: " أترى هذا الأمر يكون لغيرنا؟! ".

إنّ هذا الموقف من الامام سواء في عدم اشتراكه مع المؤتمرين في السقيفة، أو في رفضه لطلب العباس، قد يفسّر بشيء من عدم الحيطة السياسية، ويساعد على القول إنّ الترسل واللامبالاة التي تمثّل بها الإمام (ع) في موقفه هي التي صرفت عنه الحكم، وفي المقابل كانت روح المبادرة، والحيطة السياسية في الجانب الآخر هي التي أحرزت لهم الحكم.

ولقد بدا موقف على (ع) بعد الرسول (ص) كما لو كان فيه كثير من حسن الظن، كما فيه كثير من البرود والتباطؤ، والمعروف أنّ العمل السياسي الناجح يفرض التحسب لأدنى الاحتمالات، كما يفرض الاقدام السريع واغتنام الفرص.

لقد كان يتسع لعلّى - وما زلت أقرر هذا القول - أن يصنع شيئاً كثيراً في هذا المجال.

كان يستطيع أن يشترك في السقيفة وربما يكسب إليه كل الأصوات أو معظمها، وكان يستطيع أن يشترك في مؤتمر غير ذاك المؤتمر، يأخذ فيه البيعة من عمّ الرسول (ص) وسائر الهاشميين وجميع أنصاره والمخلصين له من المهاجرين والأنصار، وحينذاك يقطع الطريق أمام كلّ المحاولات الأخرى، ولا يختلف فيه اثنان كما أشار إليه العباس. لكن علياً بدأ وكأن الأمر لا يُعنيه، فقد آثر أن يشتغل بتجهيز رسول الله (ص) فأنلا لعمّه العباس: " أترى هذا الأمر يكون لغيرنا? ".

وقائلاً للأنصار فيما بعد: " أو كنت أترك رسول الله (ص) ميتاً في بيته لم أجهزه وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه? ".

غير أنّ علياً ليعلم حق العلم أنّ قريشاً لا تنام لها عين ان تركت الأمر يصير إليه، وأنها لتجد في ازاحة الحكم عنه كل الجد وأقصاه، ولقد أخبره الرسول بأن الأمة ستتحرف عنه، وتنملاً عليه.

فأى معنى بعد ذلك لأن يقول: " أترى هذا الأمر يكون لغيرنا? " كما أنّه ليعلم حقّ العلم ان قضية الحكم، وقيادة التجربة أمر تهون عنده سائر الأمور، إن لم يكن فيها سخط الله.

ولئن كان انتصاره يدعو له لأن يترك جثمان رسول الله (ص) ساعات فأى مانع يقف دون ذلك؟ أو ليست قضية الحكم هي قضية مصير الإسلام كله. ألم يكن جديراً أن يؤجل غسل رسول الله ساعات حتى يفرغ من موضوع الخلافة، ويقطع على الآخرين طريقهم، ثم يرجع وقد صار أميراً؟!

وما يمنع علياً أن يقبل طلب العباس، وهو يتطلب منه حتى ترك الجثمان الطاهر؟!

هذا قول قد يقال في موقف علي (ع).

وتلك ملاحظات قد تؤخذ عليه.

فما هو مدى الصحة في هذا القول؟ ومدى العمق في تلك الملاحظات؟ هل كان الامام قادراً على الإشتراك في مؤتمر السقيفة؟

ولو أنه اشترك فهل كان حليفه النجاح؟

الحقيقة أنه لا يوجد دليل تاريخي على أن علياً سبق له العلم بمؤتمر السقيفة ثم أثر اعتزاله عن عمد، بل إن الدلائل تشهد على أن مؤتمر السقيفة أحيط بقدر كبير من الكتمان.

فالأنصار هم الذين سبقوا إلى عقده، دون أن يبعثوا إلى أحد من المهاجرين، وحين انتهى خبره إلى عمر بن الخطاب لم يرغب أن يخبر عنه سوى أبي بكر، ولقد كان جالساً في بيت له خارج مكة فأرسل إليه عمر من يقول له: " حَدَّثَ أَمْرٌ لَأَبْدَ أَنْ تَحْضُرَهُ ".

وفي الطريق صادف أبا عبيدة فاصطحباه على ما تقول الرواية.

فأنت ترى أن أحداً من الهاشميين وغيرهم من أنصار علي لم يقف على خبر السقيفة، بل وكل المهاجرين سوى هؤلاء الثلاثة.

والرسول الذي بعثه عمر لم يفصح للجالسين حقيقة ما حدث، إنما قال له: " حدث أمرٌ ".

حتى أن أبا بكر (رض) اعتذر أولاً، ثم أجاب حين أرسل إليه عمر ثانياً من يؤكد له ضرورة الخروج.

ولقد كانت مفاجئة لعلي، وشيعة علي، بل وعامة المسلمين ممن لم يحضر السقيفة، حينما أعلن عنبيعة أبي بكر، وربما تصور لنا الحال رواية البراء بن عازب حيث قال:

" لم أزل لبني هاشم محباً فلما قبض رسول الله (ص) تخوفت أن يتمالا قريش على اخراج هذا الأمر عن بني هاشم، فأخذني ما يأخذ الواله العجول.. ".^١

^١ - أعيان الشيعة، ٢٠: ٢٧٦ نقلاً عن شرح النهج.

وعلى هذا يكون من المؤكد انّ علياً حين لم يحضر السقيفة، كما لم يحضرها أحد من أنصاره ومؤيديه، لم يكن ذلك عن عدم قناعة بضرورة الحضور ظناً بفشل الاجتماع، وعدم توقع لخروجه بنتيجة حاسمة تزيحهم عن مقعد الحكم والقيادة.

بل ربّما كان ذلك للسريّة التي أحيط بها المؤتمر، ومحاولة كتم خبره عن الخط الشيوعي خصوصاً، وعن مجموع المسلمين عموماً.

والأفماذا نفسّر عدم اشتراك أحد من المهاجرين سوى أبى بكر وعمر وأبى عبيدة؟ أم انّ مصير الأمة ومصير الإسلام لا يهتمهم جميعاً؟! لا

على أنّا نحسب انّ من التسرّع فى الحكم، وعدم التقدير الجيد للأمور، القول بأن اشتراك على فى المؤتمر كان يضع الحكم بيده، ويحبط كلّ المحاولات الأخرى.

فالشياء الثابت والواضح انّ غلبة المهاجرين على الأنصار فى مؤتمر السقيفة ترجع فى أحد عواملها المهمة إلى وحدة صف المهاجرين وتفرق صف الأنصار.

فلقد ذكرهم أبوبكر بالشجار التاريخي الطويل بينهم، والذي استنزف دماء الأوس والخزرج معاً، وهم بعد قاربوا عهد بهذا الماضى، ومن هنا عادت لهم الذكريات، والأحقاد، والضغائن، بما دعا مشايخ الأوس إلى الإسراع فى بيعه أبى بكر، حسداً منهم لسعد بن عباد شيخ الخزرج، وكان هو مرشح الأنصار للخلافة.

فالمؤرخون يذكرون انّ أوّل من بايع أبابكر بعد عمر وأبو عبيدة، وكان من الأوس، وحين أعاد له أبوبكر ماضيهم الدامى القريب. استجاب للأحقاد الجاهلية العريقة، ونهض ونهض معه من حضر من الأوس، فاضطر الخزرج للبيعة.

أمّا ماذا كان يحدث لو حضر على (ع)؟

بلا شك أنّه سيدعو لنفسه، ويدعو له أنصاره الحاضرون فرضاً، ولا دليل على أنّ قريشاً ستقبل هذا الاقتراح، ولها مع على ألف حساب. ومن المتوقع جداً انّ مشايخ المهاجرين مثل أبى بكر وعمر وأبى عبيدة سيرفضون هذا الاقتراح أيضاً، انحيازاً لقريش التي كرهت أن تجتمع النبوة والإمامة للبيت الهاشمى.

وفى ظلّ وضع من هذا القبيل، وشجار عميق بين المهاجرين أنفسهم، سيبقى صف الأنصار متماسكاً، بينما يشتغل المهاجرون بأنفسهم.

والظن بأنّ الأنصار سينحازون إلى جبهة على ليس مصيباً. فان ميول الأنصار فى على لم تمنعهم أن يبادروا إلى عقد مؤتمر السقيفة ومحاولة جرّ الحكم اليهم. ولا دليل على أنّهم كانوا يستجيبون لعلى، ويسمعون دعوته وهم يجدون كفتهم راحة.

وليس بعيداً أنّ خصوم على من قريش سيميلون إلى الأنصار بغاية دحر على، وربما يكون لهم مع الأنصار نصيب أما مع على فلا شيء لهم.

ونخرج من هذا الحساب بأن علياً لم يكن عالماً باجتماع السقيفة، وأنه لو خفّ إليه لا دليل على فوزه فيه.

يبقى هذا السؤال:

لماذا لم يبادر على إلى أخذ البيعة من عمّه العباس وسانر الهاشميين، وبقيّة أنصاره ومؤيديه، وحينذاك لا يجد من يريد الخلاف سبيلاً للخلاف؟

ولقد كانت تلك هي وجهة نظر العباس يوم قال لعلي: "يا ابن أخى هلم أبياعك فلا يختلف عليك اثنان".

وأنا اعتقد أنّ الاجابة عن هذا السؤال تدعونا إلى طرح سؤال آخر، وهو ماذا سيقال في هذه البيعة؟ وكيف ستواجه؟ وهل صحيح أنّها تقطع الطريق على المعارضين؟

لقد كان ميسوراً للمعارضة أن تخرج على هذه البيعة، بحجة أنّها لم تكن بمشورة من المسلمين جميعاً، أما بنو هاشم فهم يجرون النار إلى قرصهم.

ولعله إلى هذا البعد كان يشير على، حين رفض الإستجابة لطلب العباس قائلًا:

"لا أحبّ أن يكون هذا الأمر من وراء رتاج".

على أنّ قريشاً كانت على استعداد دائماً لأن تصنع كلّ شيء دون حكم على، وهي نفسها التي خرجت عليه يوم تمت له البيعة من عامة المسلمين بعد الخليفة الثالث.

حتى لقد كان على يقول:

"اللهم ائني استعينك على قريش ومن أعانهم، فإني قطعوا رحمى، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لى".

* * *

والى هنا أصبح واضحاً أن انفلات الحكم من الامام لا يرجع إلى طبيعة موقفه بعد الرسول (ص)، بقدر ما يرجع إلى العداء التاريخي الذين انطوت عليه نفوس قريش لعلي بن أبي طالب، مهما كان منشأ هذا العداء.

وبقدر ما يرجع أيضاً إلى مستوى الوعي السياسى والدينى للقضية الذى عاشته الأمة يومذاك على حديث تقدم لنا فى ذلك.

والآن ما هو موقف الإمام بعد أحداث السقيفة، وما تمخّضت عنه؟

هل يقاتل؟ أم يعتزل؟ أم يتنازل عن خطه؟ أم ماذا؟

لقد كانت أمامه أربعة طرق، كان عليه أن يختار منها ما يضمن له سلامة الإسلام، وما يمهد له أداء مسؤوليته إتجاه الرسالة.

فالإمام لا يثار لحق شخصي، أو رغبة في الحكم، وإنما للرسالة التي جعل أميناً عليها، واختاره الرسول (ص) لتحسينها وحمايتها.

أما ما هي تلك الطرق؟

وأيها يحقق للرسالة الجزء الأكبر من أهدافها؟

أما ان يقاتل بمن معه فيغلب أو يموت دون حقه؟

وأما أن يعتزل الأمة كلها، فلا هو منها ولا هي منه، كما صنع سعد بن عباد؟

وأما إن يفتح للأمة، ويتصادق مع الحكم القائم، محتفظاً في الوقت ذاته بخطه، وساعياً إلى دعمه، وتصعيده، وتحسينه ليبقى حياً نقيماً معبراً عن جوهر الإسلام، يوم تنحرف سائر الخطوط، وتضيع حقائق الرسالة.

الطريق الأول: المنازلة

ولقد بدا للكثير من الكتاب أن الإمام - على تقدير نص رسول الله، واستخلافه إياه - كان عليه أن يقاتل، وإن يحمل السلاح، وإن ينهض ولو وحده. ولو كلفه ذلك الموت، مادام يؤمن بحقه في الحكم بوصية من الرسول (ص) وماذا ينتظر الإمام؟

ولماذا يسكت؟

أليس صدقه مع رأيه، وصدقه مع رسالته يدعو له لأن يقدم نفسه وروحه حرصاً على وصية الرسول، وتحقيقاً لأطروحاته في الحكم بعده.

أما وقد سكت الإمام فذاك دليل على أنه لم يكن معتقداً بوصية الرسول، ولا ذاهباً مذهب الشيعة فيه، " ولو قد علم أن النبي قد أوصى له لجاهد في إنفاذ أمر النبي ولاثر الموت على خلاف هذا الأمر "¹.

كثيرون يذهبون إلى هذا الرأي، ثم يحتجون بموقف الإمام على الشعة، من حيث أنه لو كان منصوباً عليه لكان جديراً به بل مسؤولاً عن الجهاد.

وأحسب أن هذا الرأي أريد به هذه الغاية! أريد به مخاصمة الشيعة فيما يدعون من النص، والافان كل أحد يعرف أن الجهاد إذا كان يعنى الانتحار، وإذا كان يضيع على الرسالة أكثر مما يجلب لها، وإذا كان لا يحقق صغيراً ولا كبيراً من أهداف الرسالة ولا يسد حاجة من حاجاتها، فإن مثل هذا الجهاد ليس هو الجهاد الذي دعا

¹ - الشيخان، طه حسين: ٢٥.

إليه القرآن وحثّ عليه، إنّما هو الانتحار المجنون الذي حرّمته الشريعة ونهت عنه ترى ماذا كان يحقق للرسالة لو أنّه أثر الموت في هذا السبيل؟

أولاً: سيحرم الأمة من وجوده وعطائه، ثم لا تملك من تلجأ إليه عند المعضلات، ومن يعزز ثقتها برسالتها، ويعمق مذهبها، ويسدّ كل ثغراتها، كما درسناه في المهمات التي توفّر لها الإمام على (ع).
ثانياً: وحين يضحي على نفسه يكون قد ضحى بالخط الشيعة كلّهُ.

الخط الذي أريد له أن يحمي وجود الإسلام، كما يحمي حقائق الإسلام من محاولات التشويه والتحريف والتفريغ. ولقد رأينا وسوف نرى أنّ تاريخ التشيع كان دفاعاً مرّاً مستميتاً عن الرسالة، الرسالة النقيّة النظيفة كما نزل بها القرآن، وحدث بها رسول الله (ص).

ويومذاك لم يكن الخط الشيعة سوى أطروحة لم تأخذ طريقها إلى الوجود الخارجي بعد، وكان على هو المسؤول عن بناء قواعدها، وترسيخ خطها، وتعميق مفاهيمها كما رأينا في حديث سابق.

أمّا إذا أثر الموت السريع الارتجالي، وفي غمرة ساعات بل لحظات ضحى بوجوده، وبكل الطليعة الواعية المخلصة للإسلام حقّ الإخلاص، عمار وأبوذر وسلمان والمقداد. فمن يبقى للرسالة؟ ومن يبقى للأمة الفتية التي تواجه مخاطر الموت؟ ومن سيعرف موقع التشيع من الرسالة، ومدى صدقه في التعبير عنها.

إنّ هؤلاء يمثلون اللبنة الأولى للتشيع، وحينما ينتهي هؤلاء قبل أن يخلقوا من يسير على نفس الخط، ويحمل نفس الدرجة من الوعي والإخلاص والالتزام. فذلك يعني موت الخط كاملاً، ويبقى المجال مفتوحاً أمام سائر الخطوط لترسم الإسلام للأجيال الآتية حسب طريقته، وحسب درجة إخلاصها ووعيتها للرسالة.

صحيح أنّ التضيحة قد تكون طريقة للبناء، وتعزيزاً للوجود، ووثيقة الانتصار والخلود التاريخي، لكن هذا الكلام إنّما يصح حينما يكون المبدأ قد استكمل بمحتواه النظري، وحصن وجوده الخارجي من الفناء. أمّا إذا كان المبدأ يعيش في المهّد فالتضيحة بالنسبة له تعتبر انتحاراً، ومجازفة محرّمة.

ألسنا نعلم أنّ الإسلام منع أنصاره حمل السلاح ومجابهة قريش، يوم كان المسلمون قلة، لا يؤمن عليهم من الموت المستغرق، حتّى إذا هاجر الرسول إلى المدينة، وأصبح معلوماً أنّ كلمة الإسلام قد رسخت أعلن الجهاد وحمل السيف. والتشيع بعد الرسول (ص) يعيش بداياته التاريخية الأولى، ولم يكن واضحاً بعد حقيقة هذا الاتجاه، بل كان بحاجة إلى فترة زمنية تتضح من خلالها الأبعاد والتصورات الواقعية التي يحملها، ويؤمن بها.

كما أنّ السانين في هذا الاتجاه لم يكونوا عدداً بمستوى يضمن بقاء بعضهم ليواصل السير، ويعلن للآخرين الحقيقة.

وإذا كان التشيع يعنى الإسلام، كما أراده محمد (ص) والقرآن، فإن مصير الإسلام مربوط إذن بمصير التشيع، وإن أى خطر يواجه التشيع يواجه الإسلام بالذات. وحينئذ تكون التضحية بالتشيع تضحية بالإسلام، لأن الخطوط الأخرى التى لم تهضم الإسلام، ولم تستوعبه، ولم تندمج مع مفاهيمه وقيمه تماماً هى التى ستتحكم، وهى التى ستشرح للأجيال مفاهيم الإسلام، وترسم لهم صورته، وتضع تفاصيله، وحينئذ تبدأ عملية التحريف - عمداً أو خطأ - وبالتدريج يفقد الإسلام لبّه وجوهره، وحيث لا يبقى منه إلا القشور فإن الأمة سترفضه لا محالة، وهناك يموت تماماً.

إن من الخطأ أن نعقد قياساً بين نهضة الامام - لو أراد أن ينهض - وبين نهضة الحسين (ع) مثلاً.

فالحسين يوم ثار كان التشيع له وجوده وقواعده العريضة، ورغم أن الحسين قد قتل، إلا أن التشيع ظلّ حياً بل ازداد حياةً وتصلباً، لماذا؟ لأنّ القواعد الشيعية كانت موجودة ومبثوثة، ولأنّه كان هناك من يشرح للناس خطّ الحسين، وثورة الحسين، ويفضح كلّ محاولات التشويه والتمويه لثورته وحركته وخطئه.

لكن من كان يقوم بهذا الدور لو أنّ علياً وأنصاره ومؤيديه قدّموا أنفسهم مرّة واحدة وبسرعة وقبل أن يقولوا للناس أى شىء، وقبل أن يعرف الناس عنهم أى شىء، سوى طلب الحكم، والتوصل للسلطة؟!!

بلا شك ستضيع هذه الحركة، وتنتهى. كما انتهى سعد بن عبادة مثلاً، ثم لا يعرف الناس عنها إلا أنّها حركة وصولية غير واعية، ولا مخلصّة للإسلام. الذين يرديون من على أن ينهض فى وضع من هذا القبيل يقعون فى مغالطة واضحة، فالجهاد واجب والأصحاح بالحق واجب، لكن حيث يكون ذلك خطوة نجاح، أما إذا كان خطوة موت، وطريق النهاية، فإنّ الصديق هنا مع المبدأ، والإخلاص له، يطلب السكوت والترثى.

ألم يكن محمد (ص) على الحق؟ وألم يكن صادقاً مع مبدئه ورسالته؟ ومع ذلك فقد قبل صلح الحديبية، ولم يصغ لمن قال له:

ألسنا على الحق؟ إذن لم نعط الدنيا فى ديننا؟

إنّه يعرف الحق، ويعرف أنّه على الحق، ولكنه صالح لأنّه وجد الصلح أعود لرسالته، ولأمنته الفتية الجديدة، وأنهم لفاتحون على أى حال اليوم أو فى الغد. وفى ضوء هذا الفهم ينبغى أن يوضع السؤال بهذه الصيغة:

كم هو احتمال النجاح فى نهضة الامام لو أراد أن ينهض؟

وهل صحيح أن نهضته تعنى الانتحار؟

أما فى نظر الإمام نفسه فالأمر كذلك، والنصوص التى بأيدينا تاريخياً تؤكد أنّه (ع) كان لا يتوقع لثورته النجاح، أى مقدار من النجاح.

ومن خلال هذه النصوص يبدو وكأنّ الامام مستعد للقتال، والثورة، لو توفرت له شروط النجاح، أما وهو لا يجد ذلك فجدير به أن يلتزم الصمت. لقد كان يقول: " لو وجدت أربعين ذوى عزم لناهضت القوم ".

ويقول وهو يشرح حقيقة ما جرى بعد رسول الله (ص): " فنظرت فإذا ليس معي إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت واغضيت على القذى ".

ولطالما خير على نفسه بين النهوض وبين الصمت، ثم يؤثر الصمت، لأنّ فيه سلامة المبدأ. وهو يصوّر لنا هذا التردد والخيار حيث يقول:

" وطفقت ارتنى بين أن أصول بيد جزا، أو أصبر على طخية عمياء... فرأيت الصبر على هاتى أحجى " لأن اليد الجزاء لا تصنع شيئاً، ولا تستطيع أن تصول.

وفى رواية اليعقوبى أنّه: " اجتمع جماعة إلى على بن أبى طالب يدعونه إلى البيعة، فقال لهم: اعدوا علىّ محلّين الرؤوس، فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر ".

وهكذا فقد كان الامام مقتنعاً كلّ القناعة بأن ثورته لا تحقق له النصر.

أمّا صحة هذه القناعة فهو شيء أكيد، وإنّ نظرة تحليلية سريعة توضح لنا عدم التكافؤ بين جبهة الإمام وجبهة مناوئيه.

من سيشترك مع الإمام، ومن سيدخل جبهة المناوئة؟

القوى الحاكمة ستقف ضد على بالطبع، لأنّه طالب فتنة، وناهض بغير حقّ، هكذا فى نظرها. وإنّها لم تعفه من البيعة يوم تأخّر عنها فكيف تراها لو شاهدت علىاً بجمع الجموع.

لقد هدّد على بالقتال، وعرضت داره للإحراق، لأنّه تخلف عن البيعة، واعتزل الناس! فكيف لو دعا لقتال؟

والحكم القائم لم يكن مستعداً للتنازل أمام على، بل ولا الإصغاء إليه. وبأى مقصد كان ذلك فإنّ علىاً سوف لا يجد أمامه إلا السيف.

والحكم القائم كان مضطراً لتحصين نفسه لضرب أى حركة مضادة، وقمعها بقسوة، وبسرعة، حتّى ولو كان القائم بها هو الإمام على (ع).

ثم إنّ هناك قريش - وما أدراك ما قريش - مملوءة حقداً وحسداً وضعينة للإمام، فأين تراها ستكون؟

وسوى هذا الحقد والحسد والضعينة، فإنّها تعرف علىاً جيداً، وتعرف مصيرها لو ولى الحكم على. أنّه لا يرى لها فضلاً ولا كرامة إلا بمقدار ما تعطى للإسلام، ثم هى ذات طمع فى الحكم، ولو حكم على فالأمر لن يصل إليها أبداً على نفسه يحدثنا عنها بالقول:

" انها تنظر فى صلاح شأنها، وتحتاط لمنافعها، فتقول: انّ ولى الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبداً، فاذا كان فى غيرهم تداولته بطون قریش ".

وهناك بنو أمية خاصة، وبينهم وبين بنى هاشم عدااء طويل، ولقد دعا أبو سفيان أولا لعلی، ثم ما لبث أن صافح الحكم القائم يوم أعفاه مما بيده من خمس نجران، وولى ابنه يزيد الشام.

وهناك المنافقون، وجود ضخم خطر طالماً ألقى الرسول أيام حياته. ولقد كانوا يُعرفون على عهده ببغضهم لعلی، وهم بعد الرسول أشدّ منهم أيامه، وأحرص على الوقیعة بالإسلام والمسلمين.

ولقد كان بغضهم لعلی بغضاً للرسالة، وبغضاً للرسول، فعلى يمثل الرسول، دمه ولحمه ونفسه، وهو منه بمنزلة هارون من موسى، وانه لأخوه فى الشدائد والملزمات، كما أخوه فى ساعة اليسر والعافية. وانهم ليعلمون انّ طعنهم وتجريحهم لعلی ايداءً للرسول، حتّى لقد كان يقول: " لا تؤذوننى فى على " يكرّرها ثلاثاً، ثم لا يعينون، ثم يعودون للطعن فى على كان لم سمعوا ولم يعووا.

وعلى يمثل محتوى الرسالة، فى تضحياته، وأخلاقه، وسلوكه، وشدّته فى الله، انه التجسيد الحى لكل قيم الرسالة الجديدة، انه الإيمان كلّهُ وسوى ذلك فانه السيف الذى ارغم انوف قریش وغير قریش حتّى أسلمت، ولو لا سيف على لم تقم لهذا الدين قائمة.

وانهم ليعرفون انّ علیاً هو الرجل الذى اعدّه الرسول ليقاتل على تأويل القرآن، كما قاتل على تنزيله. والقتال على التأويل يعنى القتال من أجل الحفاظ على المحتوى الحقيقى للإسلام، وأحباط كلّ محاولات التحريف والتزييف.

ثم على هو مرجع الأمة عند الفتن، وانه لعلی الحقّ أبداً ودائماً، كما انّ الحقّ معه. والمنافقون لا يريدون الحقّ ولا يأمنون به، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً.

هؤلاء، ذوو النفاق، المبتوثون بين المسلمين، من علم الرسول (ص) منهم ومن لم يعلم، حتّى ليحدّث عنهم القرآن: {وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ}.

هؤلاء جميعاً بكل قواهم وكل عددهم، وكل قابلياتهم على التخريب أين سيقفون؟ على هو الرسالة وعلى هو الرسول، وهم أعداء الرسالة والرسول! فهم عليه، وهم جبهة وحدهم ضده، ولو كلّفهم سفك المهج! أمّا الأعراب:

من ارتدّ منهم عن الإسلام فقد ارتدّ، ومن بقى على الإسلام كم هو إخلاصهم للإسلام، واستعدادهم للتضحية؟

وكم هو وعيهم لقضية على؟

انهم سمعوا مقالة رسول الله فيه، من شهد منهم غدير خم فقد شهد، ومن لم يشهد فقد بلغه الشاهدون مقالة الرسول:
 " من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.. ".

انهم من هذا يعرفون علياً، لكن لا يعرفون منه الا انه رجل سابق إلى الإسلام، وقريب إلى الرسول، وقد استخلفه من بعده:

أما حقيقة هذا الإستخلاف؟ أما موقع علي من الرسالة الذي دعا الرسول (ص) لأن يستخلفه، ولأن يأمر الأمة بلزومه عند الفتن؟

أما المخاطر التي ستترتب على صرف الحكم عنه، واعطاء القيادة لغيره فتلك أمور لا يعرفها الأعراب! وفي نظرهم إذا كان علي سابق إلى الإسلام، فأبوبكر من السابقين أيضاً، ثم هو شيخ من شيوخ قريش، وقد رضعته قريش نفسها، وجدير بعلي أن يتنازل له عن حقه، ولا يحدث فتنة في الأرض وفساد كبير. من المؤكد ان الأعراب يفهمون قضية علي بهذه الطريقة، حق شخصي، ربما اندفع الرسول (ص) إليه بوحى من عاطفة، وودّ يكتنه لعلي، ليس غير.

وإذا كانت المسألة تحتل هذا الموقع في أفكارهم وأنفسهم، فلا داعي حينئذ للحرص على خلافة علي، والتضحية من أجلها سوف لا تعنى في نظرهم الا التضحية من أجل مصلحة شخصية يطمع فيها علي. على ان القوى الحاكمة - وهي قد سبقت إلى الحكم - سترسم للناس صورة علي كما لو كان صاحب فتنة، وداع للشقاق، وممزق لصف المسلمين، في يوم أحوج ما يكونوا فيه إلى الوحدة والوئام.

وهي صورة قريبة إلى الصدق جداً فيمن لا يعرف حقيقة الأمر، وهم لا يعرفون بالطبع كما شرحنا. ولنن قنع الأعراب بهذه الصورة، أو لا فإتهم سيقبلون الشك في علي وفي ثورة علي لا أقل، وحينما يأتي الشك لا يبقى أحد مستعداً للتضحية.

والواقع ان حكومة السقيفة جرّبت هذا السلاح، وأعطت للناس هذا المفهوم عن علي مقدماً.

لقد قال أبو عبيدة وهو يدعو علياً للبيعة:

" ولا تبعث الفتنة في أوان الفتنة، فقد عرفت ما في قلوب العرب وغيرهم عليك ".

وسواء صحت الرواية عن أبي بكر انه قال في علي خاطباً المهاجرين والأنصار: " مربّ لكل فتنة، كأما طحال أحب أهلها إليها البغي " أو لم تصح، فإنّ هذا الأسلوب لم يكن بعيداً عن منطق الحكم القائم.

والأعراب المخلصون يعرفون حاجة الأمة إلى الوحدة أمام المخاطر التي تحف بها، وانهم سيدعون لذلك بكلّ اخلاص، فهل تراهم سيشتركون مع الإمام في خوض حرب داخلية لا يعرفون أبعادها حقيقة.

على انه ليس ببعيد ان حدوث مثل هذا الشقاق سيدعو إلى مزيد من الإفلات عن الإسلام، وارتداد الأعراب عنه. وكان على جيد الملاحظة لهذه النقطة بالذات، انه يحدثنا عن نفسه فيقول: " فأمسكت يدي حين رأيت راجعة الإسلام قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد (ص) فخشيت ان لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولايتكم ".

على ان القوى الحاكمة لا تعجز عن إقناع بعض القبائل بضرورة الاشتراك معها في القتال، وهي لا تمتنع أن تشتريها بالوعود.

وهذا أمر قد حدث بالفعل، فما ان أخذت البيعة لأبي بكر حتى دخلت قبائل "أسلم" ومعها السلاح، ويومذاك قال عمر: " ما هو الا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر ".

* * *

ولو تجاوزنا موقف قريش، والمنافقين، والأعراب، فما هو موقف الأنصار؟ معلوم انهم كانوا يظهرون الميل لعلی، حتى قال قائلهم: " لا نبايع الا علیاً " لكن هل تراهم مستعدين لقتال؟

ان علیاً دعاهم أربعين ليلة، كان يصطحب الزهراء (ع) يطوف بها على بيوتهم واحداً واحداً، وهم يعتذرون إليه. ألا " قد سبقت بيعتنا لهذا الرجل ".

ويقول له بشير بن سعد:

" لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علی قبل بيعتهم لأبى بكر ما اختلف عليك اثنان ولكنهم قد بايعوا!! ". من بقى فى جبهة علی؟

بقى الهاشميون، وبقى أنصار له من غير الهاشميين لا يتجاوزون العشرة، ولنا أن نشك حتى فى رؤية الهاشميين! فى استعدادهم للتضحية، وقناعتهم بصحة الحرب.

ففى رواية الاحتجاج عن علی (ع) انه قال: " ولقد راودت فى ذلك بقية أهل بيتى، فأبوا علیاً إلا السكوت، لما علموا من وغارة صدور القوم ".

* * *

على وحده إن، ويده جذاء.

ولو وجد أربعين ذوى عزم لناهض القوم.

أما وهو لا يملك عشرة فالحرب بالنسبة له تعنى التهور والتسرّع والانتحار. الانتحار لا بنفسه فقط، وإنما بمصير الرسالة، وحياة الرسالة التى جعل أميناً عليها.

فأى معنىً بعد هذا يبقى لقول القائلين، كان عليه أن يتحرك، وأن يثور، وأن ينهض، وأن يقدم نفسه رخيصة للموت؟! ولو قد فعل ذلك على، لكان هو المسؤول قبل غيره عن مصير الرسالة! فهذا الطريق إذن هو الطريق المسدود، ولو سلكه على لارتطم بالحجر، وانتهى.

الطريق الثانى: الاعتزال

أن يعتزل، ويبتعد عن الأمة، فلا يسمع لها صوت ولا يجيب لها نداء، أن يتنكر للأمة كما تنكرت له ونست وصية رسول الله فيه. ويتركها غارقة في الجهل، والاختلاف، والحاجة.

كما اعتزل سعد بن عباد، يوم رفض أن يبايع وأصرَّ على الرفض مؤثراً اعتزاله.

لكن ماذا يحقق هذا الموقف للرسالة؟

ماذا يحقق للإسلام عموماً، وللخط الشيعى بالخصوص؟

إن الأهداف الرسالية هي التي تسيّر علياً، وتملى عليه مواقفه، فهو حارس تلك الأهداف، وحامى حماها، فماذا تحقق العزلة من تلك الأهداف؟

الحقيقة إن الاعتزال يعنى هنا التخلي عن المسؤولية، والتنكر للرسالة نفسها، والانسحاب عن موقع الأمانة والقيادة الذى أريد لعل.

إن علياً ليس واحداً من الناس! بمستوى الناس، ووعى الناس، ودرجة اخلاص الناس يومذاك للرسالة.

ماذا على؟

على جيش فى سبيل الله؛

على الإيمان كله؛

على باب مدينة علم الرسول، وأمين سرّه؛

على من لا يؤدى عن الرسول إلا هو،

على من لا ينبغى أن يذهب الرسول إلا وهو خليفته،

وعلى مفرع الأمة، ومرجعها عند الإختلاف،

على من النبى بمنزلة هارون من موسى،

وعلى نفس الرسول، دماً ولحماً، كل ذلك على لسان النبى نفسه.

ثم بعد رسول الله (ص) ماذا حقق للرسالة رغم اقصاءه عن الحكم؟

أنقذ الأمة من صدمة الانحراف، أعاد لها الثقة برسالتها، حصّنها من التميع والتحلل، رسم لها طريق الرسالة الصحيح.

هذا هو على.

وهكذا كان أبوذر وهكذا كان عمار.

أبوذر أمة وحده، يمشى وحده، يموت وحده، يبعث وحده، كما قال الرسول (ص). أبوذر أصدق الصادقين، ما أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر، كما قال رسول الله (ص) فيه. وأبوذر كان عظيماً بعد النبى (ص)، عظيماً فى دوره وعطانه للرسالة، ويداً من أيادى على (ع) فى تحقيق أهداف الرسالة. وعمار..

ما سلك وادياً الا سلك الحق معه.

وإذا حدثت الفتن فالزموا عمار. هكذا قال الرسول (ص) فيه.

وكان مثل ذاك سلمان، والمقداد، وحذيفة.

فهل يعتزل كل هؤلاء؟

إذن من يغيب الأمة عندما تستغيث؟! ومن للرسالة يعزّر مفاهيمها، ويبنى رجالها، ويدفع عنها الضياع والتمويه والتحريف.

ليس هنا الا على، والا الطليعة الواعية التى دارت فى فلك على.

على ان الاعتزال يقطع على هؤلاء طريق الوصول إلى الحكم.

وبدون التعامل الايجابى مع الأمة، ووضع الأرقام بيدها، ستضمحل صورة على، ولا تعرف الأمة فيه رجالاً رسالياً قيادياً تستطيع أن تسلم إليه الزمام.

وحينما تعيش الأمة نظام الشورى يكون الطريق الطبيعى للوصول إلى الحكم هو تحصيل قناعة الأمة وثقتها من خلال الحضور عندها باستمرار، والوقوف فى نظرها بمستوى المسؤولية.

وعلى (ع) يطلب الحكم، ويطلبه له كل أنصاره والساكنين فى خطه.

لأن موقع القيادة هو أفضل أداة لتحقيق الأهداف، والتوفر لإنجازها، ولأن موقع القيادة هو أخطر موقع فى مصير الأمة ومصير رسالتها.

والرسول (ص) حينما استخلف علياً كان يقصد أن يضع بيده هذه الأداة، والأفان علياً موجود، وهو سيبذل طاقاته وامكانياته، ويقدمها للأمة وللرسالة، بلا حاجة إلى استخلاف! بينما كان الرسول (ص) حريصاً، بل كان الوحي حريصاً على أن توضع القيادة بيد الإمام، وعلى أن يكون هو المشرف والموجه والمخطط للتجربة الإسلامية بعد النبى (ص).

وكان الامام يحسب لهذا الهدف حسابيه، ومن هنا فلا يجوز له أن يعتزل، وينقطع عن الأمة، لأن ذاك سيذهب بالحكم إلى غيره، ويخسر الإمام أفضل أداة لتطبيق الإسلام، وتنجيز طموحاته وأهدافه، فى تربية الانسانية الخيرة.

ومن هنا فهذا الطريق هو طريق مسدود أيضاً، بحساب الأهداف ومصالح الرسالة التى يفكر فيها الخط الشيعى، ويحمل همومها.

كما انّ القوى الحاكمة سوف لا ترتاح لهذا الموقف، وهى ترى فيه تحدياً لسلطانها، ومحفزاً للخروج عليها باستمرار. وبالتالي فهى لا تترك الإمام، وانها لتأخذ منه البيعة كيفما كان.

ولقد رأينا كيف اضطربت القوى الحاكمة من الاعتزال المؤقت للإمام، وما استقرّ لها قرار حتى أخذت منه البيعة مرغماً، وحتى اضطرت له لأن يشارك جماعتها.

انّ اغتيال سعد بن عباد شاهد على ما قلناه... رغم انّ سعد ليس له من الخطر على الحكم القائم مثل ما للإمام وللخط الشيعى عموماً.

فالإمام إذن يعرض نفسه للموت لو أراد أن يعتزل، لأن الشكوك ستحوط موقفه لا محالة، ويكون من الأفضل تصفية هذا الوجود الغامض الخطر. والجن الذى قتلوا سعد بن عباد سيقتلون علياً بالطبع!!، لأنه أخطر من سعد على النظام الحاكم.

الطريق الثالث: المجاملة

وهو أن لا ينهض على ولا يعتزل، ثم هو فى هذا الطريق يتجرّد من تصوّرات الخط الشيعى. تصوّر انّ علياً هو وحده القيم على الرسالة بعد الرسول، هو المؤدى عن الرسول، وهو المبين للأمة ما تختلف فيه، وكلمته هى كلمة القرآن، والسنة لا يعدل بها ما سواها.

وتصور انّ الحكم القائم لا يملك سنداً شرعياً، كما لا يملك الحقّ فى التعبير عن الإسلام طالما لم يكن مستوعباً لكل حقائق وتفاصيل الشريعة، ولا مستوحياً كلّ مفاهيمها وقيمها.

على فى هذا الطرق يتجرّد عن هذه التصوّرات، ويعبر كلّ الحدود الفاصلة بينه وبين الخلافة الحاكمة.

ثمّ يعيش فى الأمة كما يعيش أى واحد من الصحابة.

فلا هو يطمح فى الحكم ويعمل له معارضاً حكومة الخلفاء.

ولا هو يبني القواعد الشيعية، يعزز خطها وطريقتها فى فهم الإسلام. وهذا الطريق هو الذى سلكه معظم الصحابة المؤمنين بالنصّ على الامام.

فقد تعاملوا مع الحكم القائم، متجاوزين قضية النص، ومعتبرين الحكم القائم

كما لو كان حكماً شرعياً جاء بنص الرسول، أو اجماع الأمة ان كان الأمر للأمة الانتصار الذين قالوا: " لا نبايع الاً علياً
" ماذا صنعوا؟

وخالد بن سعيد الأموى الذى دعا لعلی، واستنھضه أول الأمر، ورفض العمل لأبى بكر، ماذا صنع؟

بل وحتى بعض رجالات البيت الهاشمى ماذا صنعوا؟

هؤلاء جميعاً حينما وجدوا علياً قد خسر المعركة، واستقرّ الحكم لغيره، تركوا العمل فى داخل الخط، وتركوا علياً
بالذات، وتعاملوا مع الحكم كما يتعامل غيرهم ممن لم يؤمن بعلى، ولم يدع له أولاً.

وعلى أمامه هذا الطريق.

يتعامل مع الحكم القائم، ثم لا يحدث نفسه بحديث النص عليه، وقيمومته الشرعية على الرسالة.

يندك مع حكومة الخلفاء، وينصهر فيها.

يتنازل عن حقه عملياً ونظرياً.

يعيش فى الأمة كما يعيش أى واحد من الصحابة.

وفى هذا الطريق لا تضيع قابليات على، ولا تحرم الأمة وجوده.

لكنه فى هذا الطريق لا يدعو لنفسه، كما لا يسعى فى بناء قواعد الخط الشيعى الذى أعطى حقّ التعبير عن الإسلام.
لأنه قد تنازل عن هذه التصورات.

ولقد كان عمر يريد من على هذا الموقف.

كان يقول لابن عباس: " يا عبد الله عليك دماء البُدن إن كتمتنيها، هل بقى فى نفسه شىء من أمر الخلافة؟
قال: قلت: نعم "¹.

لكن علياً لم يسلك هذا الطريق، ولم يسلكه أحد من شيعته.

لماذا؟ لأنّ تنازله عن تصورات خيانة وتهرب، ولجوء إلى العافية.

انه مسؤول عن تعريف الأمة بحقيقة الحكم القائم، وموقعه من الرسالة، من أجل أن لا تضيع الرسالة، ولا تتلاعب بها
الأيدى والأهواء.

وانه مسؤول عن تحصين الخط الذى يملك هذا الوعى، ويعرف هذه الحقيقة، ثم انّ السعى من أجل الحكم ضرورة،
وهو دليل صدقه مع رأيه.

والأطروحة الشيعية للإسلام لا بد أن تكون هى الحاكمة، لأنها هى الأطروحة الصحيحة، النقية، الشاملة.

¹ - المراجعات: ٢٩٢.

الطريق الرابع: التعايش السياسى

ومن هنا فلم يبق مفتوحاً إلا هذا الطريق.

هو لا يستطيع أن ينهض، أو يعتزل، أو يتنازل، لأن أهدافه لا تقبل ذلك، إذن ماذا عليه؟

عليه أن يستجيب لنداء الأمة، ويتوفر لحاجاتها.

وعليه أن يبايع ويتصادق مع الحكم القائم، لأنه لا يستطيع أن يخدم الرسالة إلا عن هذا الطريق.

لكن على أن لا يتنازل، ولا يبيع تصورات ولا يتنكر لها عملياً.

إنه يجب أن يوضح للناس أنه وحده القيم على الرسالة، ويؤكد لهم هذا المفهوم. ويجب أن يتخذ طريقه إلى الحكم،

مادام يرى أنه وحده الذى يملك مؤهلات الحكم، كما أراده الرسول والقرآن، لا كما يريده الحاكمون. وفى فصل سابق

درسنا نشاطات على فى بناء القاعدة الشيعية.

أما الجانب السياسى من نشاطه فى هذه المرحلة فهو ما نتوقّر له الآن.

على العموم كان الإمام مؤمناً بضرورة تسلّم الحكم، واقصاء القيادات غير الكفوءة، ولقد سعى فى هذا السبيل حتى

قيل: " إنك على هذا الأمر يا ابن أبى طالب لحريص ".

فأجاب: " بل أنتم والله لأحرص، وإنما طلبت حقاً لى، وأنتم تحولون بينى وبينه "¹.

ولقد كان واضحاً لعموم المسلمين، وللخلفاء أنفسهم، أنّ علياً غير متنازل عن حقه، ولا ساكن عن بيانته.

وعلى العموم كان الخط الشيعى يطمح إلى الحكم، ويستفيد من الفرص.

مناهج العمل:

أما مناهج العمل:

ففى البداية كانت هناك محاولة لتقويض نظام الحكم، اشترك فيها بشكل وآخر كل من على والزهراء والمخلصين للخط

الشيعى.

ولا تتخذ هذه المحاولة أسلوب العمل المسلح، فقد كان واضحاً لقوى التشيع أنها غير قادرة على التدخل بهذه الطريقة،

غير أن ذلك لم يمنع من محاولة جريئة بصيغة قلب القواعد الشعبية نفسها على الحكم القائم، وإقناعها بضرورة رفض

اليد من الاعتراف به.

ولقد كان ذلك هو الطريق الوحيد الذى تستطيع قوى التشيع أن تسلكه.

¹ - نهج البلاغة، ٢ / ١٠٣، الخطبة ١٦٧.

فغير دراسة تحليلية للوضع القائم يومذاك، يتّضح أنّ الرصيد الشعبى الذى ظفرت به خلافة السقيفة لم يكن معتمداً على أسس رصينة، ووضوح تام للموقف، إنّما القصور فى الوعى السياسى، والوعى الدينى، لدى المسلمين، وروح المبادرة، وطريقة الغلط والإرهاب من جانب القوى الحاكمة، كان هو المساعد جداً على نجاح محاولة استلاب الحكم من على.

المسلمون جميعاً لا يشكّون فى على.

والمسلمون جميعاً مهاجرون وأنصار وأعراب وقريش سمعوا مقالة رسول الله فى على ووعوها، وإنهم ليعلمون حقّ العلم أنّ الأمر إليه وحده. لا لوصية الرسول فحسب، وإنّما لموقع على من الرسالة، ماضيه المجيد، استيعابه التام، اخلاصه الفذ، تفانيه المنقطع النظير، تجسيده لمفاهيم وقيم الرسالة. حتّى لقد كانوا ينظرون إليه على عهد رسول الله كما ينظر إلى النجم، وحتّى كانوا يقولون إذا جاء على جاء خير البرية.

لكنّهم فى ذات الوقت لا يدركون البعد الحقيقى لأقصاء على عن الحكم، وبدت لهم القضية كما لو كانت تبديل أشخاص. وحينما تبدو القضية بهذا المستوى فلا داعى للحرص والتكلف والحذية، ومن الأفضل اقرار الحكم البديل من أجل الحفاظ على وحدة الصفّ الإسلامى.

ولا حرجة فى طرح وصية الرسول والخروج عليها، طالما لم يكن فى الخروج عليها مفسدة للرسالة.

كما أنّ العمل السريع الذكى، وحسم الأمور بسرعة ولباقة، والتحدّث من منطق القوة، وأسلوب الضغط والتهديد والتخويف، زانداً على التشكل بصيغ شرعية، وإنّهم أية حركة مضادة بالإساءة للأمة والرسالة، كل ذلك مما اتخذته القوى الحاكمة ساعد على تحصيل فتاعة أكثر المسلمين بالحكم القائم تسليماً للأمر الواقع، وتذويب حماسهم لقضية على.

أنظروا...

ما وجدوا شخصاً إلا خطبوه، خطبة أبى بكر فى الجامع، تهديده علماً والأنصار وإنّهم لعلّى بالفتنة.

وحينما تصاب العقول بالشك، وتموت الإرادة، ويذوب الحماس، لا ينفع العمل المسلح، بل لا يمكن. لأنّ أحداً سوف لا يتحرّك للتأييد فضلاً عن الاشتراك والجماهير التى اندفعت لبيعة أبى بكر كانت مصابة بالشك، والإنهيار، والقلق.

وهنا سوف لا تنجح أية صيغة للعمل إن لم تعالج هذه الإصابات، وتمسح الأفكار، والتصوّرات، والنفسيات المريضة، مستبد له بوضوح تام، وتصور عميق، وإرادة حيّة صلبة غير متخاذلة.

ولابدّ من تحقيق كلّ هذا بسرعة، وحرارة، وتكثيف الجهود والطاقت والمساعدة قبل أن تستحكم الإصابات، وينقطع النفس الأخير للإرادة وللوعى معاً.

ولأن القوى الحاكمة تتحرك بسرعة، وتبادر لخلق أية محاولة وهى فى المهد، وهنا جاء دور على والزهراء والمخلصون للخط.

جاء دورهم بغاية تعرية الحكم القائم، وتحذير الأمة من مخاطره على التجربة وعلى الرسالة. وبغاية تحريك عزمهم، وتثوير ارادتهم، وشحنهم بالحرارة والحماس للقضية، بعد توعيتهم وتعريفهم بأبعادها الرسالية.

وبغاية فصل هؤلاء عن الحكم القائم، وسلب تأييدهم له، ومن ثم الإخراط فى سلك على. تحركت الزهراء، ومعها لفيف من نساء قومها، لا تخرم مشيتها مشية رسول الله. ذكّرتهم بأبيها، وموقعها من أبيها، وأنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء، ملكت العواطف والأسماع والعقول، بكل قوة وكل حرارة، وكل حماس.

وبكل دقة، وتركيز، واستهداف. ذكّرتهم بماضيهم البطولى المجيد، بتضحياتهم العميقة العريقة. ذكّرتهم بالشهامة والاباء والإخلاص للرسالة.

وأعدت لصفحة فكرهم علياً، موقعه من الرسالة، وموقعه من الرسول، وموقعه من الأمة كلها. وانحدرت تشرح لهم واقع ما جرى الآن، خطره على الرسالة، وبُعده عن الرسالة.

حدّرتهم عن السكوت، والإقرار، والتخاذل.

صوّرت لهم مستقبل التجربة فى ظلّ هذا الواقع.

" أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملته دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاءه إلى الأمم، زعيم حق فيكم، وعهد قدّمه اليكم، وبقية استخلفها عليكم... "

" أيّها الناس اعلموا.. "

انى فاطمة، وأبى محمد، أقول عوداً وبدواً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبى دون نسانكم، وأخا ابن عمى دون رجالكم... "

" يا معشر النقيبة، وأعضاء الله، وحضنة الإسلام، ما هذه الغمزة فى حقى، والسنة عن ظلامتى، أما كان رسول الله (ص) أبى يقول: " المرء يحفظ فى ولده " سرعان ما أحدثتم... "

" هذا والعهد قريب، والكلم رهيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يُقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا فى الفتنة سقطوا، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين... "

" فہیہات منکم، وكيف بکم، وائی توفکون، وکتاب اللہ بین أظهرکم، أموره ظاهرة، واحکامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجه لایحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهورکم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحکمون؟ بنس للظالمین بدلاً... "

ثم تخاطب المشاعر والعواطف والقلوب، تحیی جذوة الحماس، وتثیر بقیة البطولة، " إیه بنی قیلہ... ءأهضم تراث أبی؟

وأنتم بمرئى منى ومسمع، ومنتدى ومجمع؟

تلبسکم الدعوة، وتشملکم الخبرة، وأنتم ذو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندکم السلاح والجنة، توافیکم الدعوة فلا تجیبون، وتأتیکم الصرخة فلا تغیثون؟

وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت... "

خطبة كأنها النار، أو كأنها العاصفة؛ كل كلمة فيها ثورة، وكل حرف فيها رصاصة.

عصفت بهؤلاء فكأنما أيقظتهم من غفلة، ودقت فى أسماعهم وعقولهم الطبول.

" أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع، أمَّن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحکمون ؟" واهتز لها الحاضرون، فكأنما فكَّتهم من عقال، وأزاحت من فوق صدورهم صخور الجبال، وكاد أن يحدث كل شيء.

كاد أن تكون ثورة، ترفع وتضع، وتقلب التاريخ.

وشعرت بهذا قوى الحكم، فاستدرك (أبو بكر)، واستعمل كثيراً من الحذق والسياسة، فجاء يصب الماء على النيران الهانجة، ويهدء هذا الزلزال العنيف.

ثم جاء على.. وإنَّ السيف يعلوه وهو مكبل.

ولو كان يريد الموت ساعته لقال كل شيء، لكنه سيقتل ثم تضيع الحقيقة، وتضيع الرسالة.

أما هو فيريد أن يبقى، لأن الرسالة تريد منه البقاء، مهما كلف الأمر، ومهما أعطى من التنازلات.

وكان رسول الله (ص) يحدثه بما يجرى عليه، ويأمره بالصبر.

" يا على إنَّ الأمة ستغدر بك ولكن علياً لا بد أن يقول الكلمة.

والكلمة هنا أقسى من السيف، لأنها ستبقى للتاريخ، وستغير مجرى التاريخ. وإنَّ عليه أن يحاول ثم لا يهتم أن تحبط مساعيه.

لقد خطب المهاجرين: " يا معشر المهاجرين: الله، الله، لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه فى الناس وحقه.

فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم، ما كان منا القارئ لكتاب الله، الفقيه لدين الله، العالم بالسنة، المضطلع بأمر الرعية، والله أنّه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعداً".

لكن هذا الخطاب الاستنهاضي من الإمام على (ع) لم يترك بدون تصد وتحد من الحزب الحاكم.

فقد قال له أبو عبيدة: " يا أبا الحسن، انك حدث السن، وهؤلاء مشيخة قريش قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبابكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشدّ احتمالاً له واضطلاعاً به، فسلم له الأمر، وأرض به فانك أن تعش ويطل عمرك، فأنت لهذا الأمر لخليق، وعليه حقيق في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك".

قول يهدئ فيه مشاعر الناس، ويمسكها من الإنفلات. أمّا أبوبكر فقد بدأ شديداً، لأنّه لا بدّ من شدة كما لا بدّ من لين.

قال: " أيّها الناس ما هذه الرعة إلى كلّ قاله؟ لنن كانت هذه الأمانى فى عهد رسول الله (ص) الا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم".

لكنه استرسل فى القول: إنّما هو ثعالة شهيدة ذنبه - يعرض بعلى - مربّ لكل فتنة، كام طحال أحب أهلها إليها البغى.

ألا اتى لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، اتى ساكت ما تركت.

ثم التفت إلى الأنصار، وهم ذوو ميل فى على، فقال: " قد بلغنى يا معشر الأنصار مقالة سفهانكم، وأحقّ من لزم عهد رسول الله (ص) أنتم فقد جاءكم فأويتم ونصرتهم.

ألا اتى لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحقّ".

وأخمدت النار مرة أخرى.

أمّا المخلصون لعلى، والمؤمنون بخطه، فنستمع للبراء بن عازب يحدثنا عنهم، حيث يقول فى رواية ابن أبى الحديد: " لم أزل لبنى هاشم محباً فلما قبض رسول الله (ص) تخوّفت أن يتمالاً قريش على اخراج هذا الأمر عن بنى هاشم، فأخذنى ما يأخذ الواله العجول..".

إلى أن يقول: " فلما كان بليل خرجت إلى المسجد...

فخرجت إلى الفضاء، فضاء بنى بياضة، وأجد نفرأ يتناجون فلما دنوت منهم سكتوا فانصرفت عنهم فعرفونى وما أعرفهم فدعونى اليهم فأتيتهم فأجد المقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسى، وأبازر، وحذيفة، وأبا الهيثم بن التيهان.

وإذا القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين".

قوى الحكم تعزل التشيع:

كان من نتيجة المحاولات السابقة أن شعرت قوى الحكم بخطر الوجود الشيعى الموالى لعلى.

ورغم أن تلك المحاولات لم تنجح في استرداد السلطة، إلا أنها وضعت القوى الحاكمة موضع التحسب لها باستمرار، ونبّهتها على خطر الوجود الشيعي، وضرورة الإحتياط منه.

إن هذا الشعور هو الذي دعا القيادة الحاكمة إلى عزل الوجود الشيعي عن الأمة قدر الإمكان، ومحاولة تفتيته وحله باستمرار.

وفي هذا الصدد يذكر المؤرخون أن الخليفة ومعه جماعة ذهب إلى العباس - بعد أن أشير عليه بذلك - فقال بعد حديث له: " ولقد جنناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً، يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنت عم رسول الله " ^١.

وكانت هذه محاولة لفصل العباس عن الخط الشيعي، والحجز بينه وبين علي.

وقد لاحظ ذلك الأستاذ العقاد فقال في كتابه "عبقريّة الصديق" ^٢.

وفي البداية كان أبو سفيان قد دعا لعلي وعرض عليه البيعة.

ورغم أن أكثر الباحثين يشكّون في نوايا أبي سفيان في هذا الاقتراح.

ألا إن بعض الكتاب فهم موقف أبي سفيان باعتباره عصبية لبیت (عبد مناف) الذي يلتقي عنده بنو هاشم وبنو أمية.

ومهما يكن في شأن هذا الموقف، فإن القوى الحاكمة بادرت للتغلب عليه، وجرّ أبي سفيان إلى صفوفها.

ولقد أشار عمر على الخليفة الأول أن يعفى أبا سفيان من كان بيده من الصدقة، ففعل، فرضى أبو سفيان، وانحاز إلى الحزب الحاكم.

وواصلت قوى الحكم عزلها للوجود الشيعي، وتقليص نفوذه في الأمة، لأنّ هذا الوجود ليس هيناً، صغيراً، حقيراً.

إنّه يملك أفضل موقع، وأنصع صورة، في نظر الناس.

كما أنّه يملك الحقّ، والصدق، والشرعيّة.

وممثله يملكون الإخلاص، والبطولة، والصلابة.

وإنّ أي تحرّك من هؤلاء قد يؤدّي بالحكم القائم.

ومن هنا لابدّ من عزل هذا الوجود، وتصغيره للناس، وسلب امكانياته على التحرك، ولقد نجحت الخلافة الحاكمة في

عزل الخط الشيعي عن مواقع المسؤولية.

فلقد سمعنا عن قيادات أبي عبيدة الجراح، وخالد بن الوليد، وسعد بن أبي وقاص، وتوليهم لمواقع عسكريّة وسياسيّة

ولكننا لم نسمع عن قيادة لعلي بن أبي طالب أيام الخلافة الحاكمة في جيش أو ولاية.

^١ - ابن سبأ: ٦٣ - ٦٤.

^٢ - انظر الصفحة: ٣٩.

ولقد كان من السهل تفسير هذا لو انّ علياً لم يكن محارباً من الطراز الأول...

كان هناك إذن تجنب لعلى وحزب على فى ميادين القتال.

كما كان هناك أيضاً تجنب لهم فى تولية المناصب^١.

حتى انّ معاوية سجل هذه الحقيقة فى كتابه لـ (محمد بن أبى بكر)، فقد قال فيه: " ثم اّنه - علياً - بايع لهما وسلم لهما،

وأقاما لا يشركانه فى أمرهما، ولا يطلعهما على سرهما، حتى قبضهما الله...^٢.

وفى رواية الطبرى وابن عساکر: انّ أبابكر بعث الجنود إلى الشام، واستعمل فيها خالد بن سعيد، فأخذ عمر يقول:

أتؤمره وقد صنع ما صنع، وقال ما قال: فلم يزل بأبى بكر حتى عزله، وأمر يزيد ابن أبى سفيان^٣.

وخالد بن سعيد هو الذى دعا لعلى، واستنهضه، ورفض العمل لأبى بكر وانّ عمرأ يذكر له تلك المواقف، ويحسب لها

كلّ حساب، فلم يزل بأبى بكر حتى عزله!

رغم انّ خالدأ كان أمويأ، وانسحب عن على فيما بعد.

لكن حيلة القوى الحاكمة كانت كبيرة.

حتى انّ أدنى الاحتمالات يكفى لاتخاذ موقف صارم، كالذى وقفه عمر من خالد بن سعيد.

ولقد مضى من القول انّ قوى الحكم رفضت حتى قرآن على يوم جمعه وقدمه فقالوا: " لا حاجة لنا فى قرآنك ".

والرواية السنية وإن لم تذكر هذا النص، إلا انّ قضية جمع على للقرآن مروية فى المصادر السنية ولا يوجد أى شك

فى أنّ الخلافة الحاكمة لم تعتمد هذا الجمع.

بل انّ قوى الحكم لم ترفض جمع على للقرآن، وإنما لم تشركه فى مهمة الجمع التى تصدّت لها هى، ولو لم يكن عليأ

أعلم الناس بالقرآن، أو من أعلمهم - لا أقل - لأمكن تفسير هذا الموقف بسهولة.

أمأ وهو يعلم كل آية متى نزلت، وأين نزلت، وفيما نزلت، فإن عدم اعتماده فى العملية لا يمكن تفسيره إلا ببعض الأبعاد

السياسية.

وزيادة على ذلك فإنّ أبابكر أسقط سهم ذوى القربى من الخمس، وهو ثابت لهم بنصّ القرآن، كما منع فاطمة الزهراء

فدكأ، وقد كان غلتها من أبيها.

وليس لهذين الموقفين أى تفسير سوى البعد السياسى.

^١ - اليمين واليسار: ٧٥ - ٧٦.

^٢ - ابن سبأ: ٨٥، نقلا عن المسعودى، مروج الذهب، ٢ / ٦٠.

^٣ - ابن سبأ: ٨٦ عن الطبرى وابن عساکر.

فليس من صالح الحكم من وجهة نظر سياسية أن توضع ثروات طائلة بيد على، وتحت سلطانه، مادام على (ع) يقود أكبر حركة مضادة.

إن سهم ذوى القربى سيكون من نصيب على، كما إن فداً ستصبح بيد على (ع).

ولو كان لهذين الموقفين تحليلاً دينياً، لما وجدنا الخليفة الثانى، يرجع فداً للزهاء، ولعلى سهم ذوى القربى لأهله، وهو الذى كان يقول: " اتى لأستحي الله أن أخالف أبابكر ".

غير أن استقرار الحكم للخليفة الثانى، واستتباب الأمن له، زانداً على العلاقة الايجابية بينه وبين على بالذات، دعتة لإرجاع تلك الحقوق دون قلق.

المنهاج الجديد:

وفى ظل هذا الواقع، وبعد أن أصبح متعذراً استرداد الحكم، كان لابد من ايدولوجية جديدة فى العمل من أجل أن لا تضيع كل الأهداف، ومن أجل أن تضمن الحياة للرسالة المهددة. ومن ذاك كانت الخطة الجديدة تقتضى قدراً أكبر من الانفتاح، والتعامل مع قوى الحكم بروحية أكثر مرونة، لا على حساب الأهداف، وإنما فى صالح الأهداف، وحيث تسوّغ الأهداف.

وعلى ذلك فقد بايع على، وبايع الخط الشيعى كله، يوم أصبحت القناعة كافية بأن الاستمرار على الرفض يهدد مصير الخط، زيادة على أنه يعوقه عن تسجيل أى موقف ايجابى للرسالة. وفيما يتعلق بهدف الوصول إلى الحكم كان الانفتاح ضرورياً أيضاً.

لأن القوى الحاكمة أصبحت تملك الحاضر والمستقبل، وانها لقادرة على قطع الطريق أمام الخط الشيعى.

إن مفاتيح الحكم ليست بيد الأمة، إن القوى الحاكمة سيطرت حتى على ذلك، وأصبح شأنها من شؤونها، وواحداً من صلاحياتها.

وبجرة قلم تستطيع أن تصرف الحكم عن الخط الشيعى كما صنع الخليفة الأول، وأنه ليستطيع بمثل ذلك أن يضع الحكم لمن يحذر.

وأحد لا يستطيع أن يعارض، ويشجب، ويرفض، وإلا فإنه صاحب فتنة، وداع إلى شق وحدة المسلمين، وما أسرع أن تشملته عملية التطهير!!

والخليفة بعد ذاك هو إمام المؤمنين وأميرهم وخليفة رسول الله (ص)، وقد بايعوه على الطاعة، فكيف يرفضون رأيه؟ وعقلية الشورى لم تجد لها نصيراً.

كما إن طريقة الشورى لم تعرف لنفسها مصداقاً منذ مات رسول الله (ص).

حتى انّ أبابكر حين استخلف عمر، حاول بعض المسلمين أن يعترض أو يسأل عن سبب هذا الاختيار، فلم يسمع له أبو بكر بذلك.

وأنا لا أدري ماذا كان يقصد طه حسين يوم قال: " لم يكن استخلاف أبي بكر لعمر إلا ترشيحاً له ^١."

والخلاصة انّ عواطف الخليفة أصبحت هي الطريق الطبيعي والوحيد للوصول إلى الحكم. وبهذا وصل عمر، ووصل عثمان.

ومن هنا كان الخط الشيعي واقعاً في حرجة بالغة، هي أشبه بمأزق. فمن ناحية لا بد من الاستجابة لنداء الامة.

ومن ناحية لا بد من التعاطف مع الحكم.

ومن ناحية ثالثة لا بد من الوقوف بوجه الحكم أيضاً، للحدّ من تعدياته وهذا هو المأزق.

وعلى أي حال، فاستجابة لمجموع هذه الملاحظات، كانت الضرورة تحكم الخط الشيعي بأن يلتزم سياسية الانفتاح.

طبيعة الانفتاح:

لكن طبيعة هذا الانفتاح وحدوده تخضع للأهداف، وللرسالة، وللشريعة: فهو انفتاح يحمل معنى التعاون، والارشاد، والتوجيه، كما يحمل معنى الضغط، والتصحيح، بالحجم المناسب.

انفتاح مرادف لكلمة التقويم، بأي اسلوب كان التقويم، وأمكن التقويم.

حتى كان على هو القائل " نقومك بسيوفنا " يوم سأل الخليفة: " ماذا كنتم صانعين، لو صرفناكم مما تعرفون إلى ما تنكرون ". وفي الوقت نفسه كان هو القائل يوم أتاه عمر يسأله عن مسألة: " لو دعوتني لأيتيك " هذه الطبيعة هي التي فرضها الوضع السياسي والديني في المرحلة الراهنة، ولقد بدأت القوى الحاكمة تظمن شيئاً فشيئاً للخط الشيعي، وتتعامل معه بانفتاح مماثل.

لأنها بحاجة إليه من ناحية، ولأنه يملك رصيداً شعبياً كبيراً، ولو على مستوى التأييد.

وطبيعي أن يمرّ هذه الانفتاح بوضع تدريجي، حتى شهدت أيام أبي بكر بداياته الخفيفة. لكنها تعتبر بداية الطريق المبارك بالنسبة للتشيع الذي كان مهدداً، ومحظوراً، ومطلوباً له الفناء.

وفي عهد عمر بلغت العلاقة بين الخليفة والخط الشيعي مستوى القمة، حتى كان علياً هو المستشار الأول للخليفة، واستطاع أن يفرض نفسه فرضاً، ويضع الخليفة نفسه تحت شعاعه، حتى كان يقوم ويقعد بمدح علي، والاطراء عليه، وصعد نجم علي.

واتضح للأمة دوره الخطير.

^١ - الشيخان: ٤٨.

وسجل للمسلمين عمق وجوده الرسالي، فهو الأمين على الرسالة، وهو الحصن الذي يفرعون إليه.

وكان شخص على في كل نانبة، وفي كل معضلة.

فلا داعي للقلق، ولا داعي للطيرة وعلى (ع) في الوجود.

شاهدوا مصداق أقوال الرسول (ص)، حينما حدثهم كثيراً عن على، وأكد لهم أنه الوحيد لهذه الرسالة، ولهذه الأمة.

ولا نرجع هنا للحديث عن عطاء على، إنما نريد الجانب السياسي.

وكان ابن عباس مستشاراً لعمر.

وكان عمار والياً لعمر.

وكان سلمان والياً لعمر.

وكان حذيفة والياً لعمر، يسأله عن المنافقين، ويسأله عن نفسه، فيما إذا كان يعرف فيه شيئاً من النفاق أولاً، ويقول

له: " أنت أخى وأنا أخوك ".

وفي الصف الأول وقف على وشيعة على.

حتى أن عمر ليدافع عنه أحياناً.

وفي رواية أخرى: " جاء أعرابيان يختصمان فقال عمر: يا أبا الحسن اقض بينهما، ف قضى على

على أحدهما فقال المقضى عليه: يا أمير المؤمنين بهذا يقضى بيننا؟

فوثب إليه عمر فأخذ بتلابيبه ثم قال:

ويحك ما تدري من هذا. هذا مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن " ^١.

في مرة وقع رجل في على بن ابن طالب بمحضر من عمر فقال له عمر: " أتعرف صاحب هذا القبر؟ هذا محمد بن عبد

الله بن عبد المطلب لا تذكر علياً إلا بخير فانك إن تنقصه آذيت صاحب هذا القبر " ^٢.

ومن يلاحظ الوضع السياسي للشيعة يمثل هذا الوقت يعرف كم كانت سياسية الإمام رابعة، وكم حققت للخط الشيعة،

وللإسلام عموماً من خدمة.

إن علياً هذا هو نفس على الذي كان مهدداً بالقتل يوم امتنع عن البيعة. وهو نفسه الذي قال لعمر: " اطلب حباً لك

شطره ".

وهو نفسه الذي أرادت حكومة أبي بكر عزله عن الأمة، وإطفاء نوره، والشيعة اليوم هم أولئك الشيعة الذين عملت

حكومة أبي بكر على تنحيته وتخلية الساحة منهم.

^١ - مناقب الخوارزمي: ٩٨.

^٢ - فضائل الخمسة: ٢٢٧ نقلا عن مصادر أخرى.

لكن الايديولوجية الجديدة التي اتبعها الخطى هي التي ضمنت له وجوده، ووفرت له الاتصال بالأمة، والتسليق إلى الحكم، حتى كان عمراً عازماً على تولية الإمام على (ع) كما أظهر ذلك.

ولقد كان عازماً على أن يستخلفه بعده.

انظروا: كل الجذور النفسية كسرها على، وكل دواعي الانفصام تجاوزها على، واقترب من الحكم، حتى كان الخليفة يريد توليته، فقد قال ذات مرة: " لقد كنت أجمعت بعد مقاتلي لكم أن أولى رجلا أمركم، أرجو أن يحملكم على الحق وأشار إلى على "¹.

وفى مرة أخرى قال لرجل انصارى: من ترى الناس يقولون يكون الخليفة بعدى؟ فعُدَّ الانصارى رجلاً من المهاجرين ولم يسمَ علياً، فقال عمر: فما لهم عن أبى الحسن؟ فو الله انه لا جرم ان كان عليهم أن يقيمهم على طريقه من الحق "وفى رواية أخرى ان عمر سأل يوماً: " من تستخلفون بعدى؟

فقال رجل من القوم: نستخلف علياً.

قال: انكم لعمرى لا تستخلفونه، والذي نفسه بيده لو استخلفتموه لأقامكم على الحق وإن كرهتم ".

التحرك الشيعة:

وفى ظل هذا الجو تحرك الشيعة سرّاً وجهراً، تغلغوا فى الأمة، فتحوا الأبصار، وأزالوا الحجب.

وفى الخفاء وفى الجهر كانت دعوتهم لعلى مستمرة. ربط الأمة به، وتعريفها بوجوده وموقعه، حتى ورد فى الرواية: " بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله.. إذ أقبل رجل معتم فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله (ص) الا قال الرجل: قال رسول الله.

فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟

فكشف العمامة عن وجهه وقال: أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا جندب بن جنادة، أبوذر الغفارى، سمعت رسول الله (ص) بهاتين والاصمتا، ورأيت بهاتين والاصمتا، يقول: على قائد البررة، قاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله "³.

وهكذا.. ابتداءً وبدون سؤال يذكر الناس بعلى، ويضع أمامهم الأرقام، فما ترى موقفه لو سنل عن على، أو انجرّ الحديث إليه؟

وذات مرة كان سلمان خارجاً مع المسلمين فى غزو (بلنجر)، قال لأصحابه:

¹ - ابن سبأ: ١٤٥.

² - فضائل الخمسة: ١١١ / ٢.

³ - فضائل الخمسة: ٢.

" أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتُم من الغنائم؟

فقالوا: نعم.

فقال: إذا أدركتم شباب آل محمد (ص) فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتُم من الغنائم، فأما أنا فأتى أستودعكم الله...^١

ولقد نستطيع القول أنّ نسبة كبيرة جداً من مناقب على، وتصريحات الرسول فيه، وصلتنا عن طريق هؤلاء، يوم كانوا يعملون جادين في الدعوة إليه.

ولا يكاد المسلمون يواجهون مشكلة إلا وكان واحداً من هؤلاء الشيعة يذكرهم بعلى، ثم ينهض ويدعو علماً. وربما كان عملهم في السرّ أكثر منه في العلن، فقد لاحظ المستشرق (ماسينون) أنّ سلمان الفارسي عقد حلفاً مع بنى عبد قيس، واستطاع أن يضمّهم وحلفاءهم من الحمراء - الجنود الفرس السابقين - إلى آرائه الخاصة بأحقية على^٢. وهذا هو التفسير الوحيد لعزل عمر إياه، والمعروف أنّه بلغته عنه وشاية، دون أن يذكر المؤرخون محتواها، لكن الشيء المؤكد أنّ الوشاية كانت تتصل برأى سلمان في على، ودعوته إليه.

وعمار هو الآخر كان والياً لعمر على الكوفة، ثم عزله عمر لوشاية بلغته فيه. وهنا أيضاً لم يذكر المؤرخون هوية تلك الوشاية، لكن شيئاً غير الدعوة لعلى لا يمكن أن يفسّر لنا تلك الوشاية، فمثل عمار لا يُظنّ به ما يدعو المسلمين للوشاية به عند عمر، وعمار هو من نعرف.

توجّس الخليفة:

ومهما كانت درجة انفتاح الخليفة على الخط، فأنّه غير مستعد لقبول تحرك كاسح من هذا القبيل. وحتى لو كان يريد تولية على بعده، فأنّه غير مستعدّ لأن يفعل ذلك بضغط الشيعة، وبفرض منهم، عن طريق لفّ الأمة بعلى، وتوجيهها إليه، وارغام الخليفة على النزول عند رغبة الأمة. كما أنّه لا يوجد أى دليل على أنّ الحركة إذا وجدت المجال مفتوحاً ستدعو لنفسها، واسترداد الحكم من عمر. كانت هاتان مشكلتان، تدعوان الخليفة إلى التوجّس وإعادة النظر. فالزحف الشيعي العنيف قد يبلغ إلى درجة يضطر عمر عندها لتولية على بعده، وأنّه يريد أن لا يلزم نفسه بشيء من هذا القبيل.

^١ - سلمان الفارسي: ٥١.

^٢ - شخصيات قلقة: ٢٩.

وكان الزبير هو القائل: " لو قد مات عمر بابعنا علماً ".

ولقد وقعت هذه الملاحظة فى نظر عمر نفسه، حتّى أنّه يوم نقلت له مقالة الزبير: " والله لو قد مات عمر بايعنا علياً " بدت عليه آثار الفزع والقلق، حتّى لقد أراد أن يقول كلمته أمام الجميع، وبسرعة ودون تأخير، لكن عبد الرحمن هدأ منه.

تحرك القوى الانتهازية:

وحينما جدّ الشيعة فى العمل بدأ خصوم الخط بالاندحار. وكلّما تسلّق على درجة، هبط خصومه الحقيقيون درجة، ووضحت عندهم الحقيقة. إنّ الأمر صائر إلى على لا محالة، وعلى هو محمد، وهو القرآن، وهو الرسالة، واتّهم خصموا محمداً على الرسالة، وأسلموا يوم أسلموا ولمّا يدخل الايمان فى قلوبهم، ولو جاء على لكان لهم ساعة الصفر المميّنة. وماذا ينتظرون؟ والخليفة يمجّد بعلى، ويقربّه، وينوى أن يستخلفه، والعلاقة بين الخليفة والخط الشيعى آخذة بالصعود.

وعلى يزداد شعبية، ووضوحاً، وحضوراً عند الأمة يوماً بعد يوم. تساءلت القوى الانتهازية عن كل ذلك، وتساءل خصوم على من قريش، وخرجوا بنتيجة: أنّه لابد من العمل للإيقاع بين على والخليفة. ولابدّ من إيقاف المدّ الشيعى عند حدّه. وحينما عرضت على نفسها هذا الاقتراح وجدته ممكناً ميسوراً. لأنّ الخليفة أساساً لم يكن مؤمناً بالخط الشيعى وان انفتح عليه أخيراً. ولأنّ الخليفة نفسه له سابقة مع هذا الخط يمكن إثارتها. ولأنّ علياً كثيراً ما يختلف، ويعترض، ويحاسب الخليفة، ممّا يسهل عملية الإيقاع، ولأنّ الخط الشيعى بدأ يتحرك فى خارج الدائرة المسموح بها، مما يمكن استغلاله لإلغيات الخليفة إلى خطورة ذلك، وضرورة الوقوف بوجهه. وبالفعل تحركت القوى المضادة للتشيع، القوى التى تريد الإسلام لا كما أراده محمد (ص) والقرآن، وإنّما كما تريده مصالحها وقيمها، والأفانها حرب على الإسلام.

هذه القوى التى عرفت فى على الحارس الأمين لمبادئ الإسلام تحركت بسرعة، ولياقة، وفنّ. وبدأت تقترب من الخليفة، وتوسوس له، وتوجّسه من موقفه مع التشيع، وشت بعمّار، وشت بسلطان. ثم جاءت متظاهرة بالإخلاص، والحرقة، والحب للخليفة. جاءت تنقل له مقالة الزبير: " لو قد مات عمر بايعنا علياً " وتطلب أن يغار لنفسه، وخلافته. قال له عبد الرحمن بن عوف: " هل لك فى فلان؟! يقول لو قد مات عمر بايعنا علياً ".

واستشاط عمر غضباً، وقال: "أتى إن شاء الله لقائم العشية فى الناس فمحدّثهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمرهم...".

" فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين لا تفعل فإنّ الموسم يجمع رعاى الناس، وغوغاءهم فأمهل حتّى تقدم المدينة فانّها دار السنّة فتخلص بأهل الفقه، وأشرف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكناً، فيعى أهل الفقه مقاتلك، ويضعوها على مواضعها. فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة، ثمّ إن عمر صعد المنبر فى أوّل جمعة قدم المدينة فخطب فقال: "إنّه قد بلغنى أنّ فلاناً قال: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً، فلا يغرنّ امرء أن يقول إنّ بيعة أبى بكر فلتة، وإنّها قد كانت كذلك إلا أنّ الله وقى شرّها، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر، فمن بايع رجلاً من المسلمين بغير مشورة من المسلمين فإنّه لا بيعة له هو ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا". وبدأ الخليفة يتراجع.

وحينما يسئل عن على، وقضية استخلافه يقول: "لو لا دعاية فيه"، وتدرجياً أخذ يبتعد عن الخط، ويصرف المستقبل عنه، وهنا جاءت الخطوة الثانية لقوى الانتهاز.

التآمر على الخليفة:

وقطعاً لطريق العودة فكّرت قوى الانتهاز فى قتل الخليفة، وارتكاب الجريمة فى حقه. لأنه إذا انصرف اليوم عن على فقد يرجع إليه غداً، وقد يعزم على توليته مرّة أخرى. ومن هنا عملت قوى الانتهاز على تصفية الخليفة، وحسم القضية بسرعة. وارتكبت الجريمة دون أن يكشف النقاب عن اعضاءها، وأحيطت بكثير من الغموض.

والشئ الذى يذكر، المؤرخون أنّ ابا لؤلؤة المجوسى هو الذى باشر الجريمة. وبصدد تعليل ذلك واكتشاف دواعيه يذكرون أنّ مشاحنة جرت بين الخليفة وبين ابو لؤلؤة، دعتّه إلى الثأر لنفسه بقتل عمر.

غير أنّ أحداً لا يمكن أن يصدّق ذلك.

فالمشاحنة لم تكن بمستوى يدعو إلى القتل، أو ما دون القتل.

ومن ناحية ثانية فإنّ (كعب الأحبار) كان قد تنبأ لعمر بالشهادة ما بينه وبين ثلاثة أيام.

والمعروف أنّ كعب الأحبار هذا كان على علاقة وطيدة بالبيت الأموى، وكان فيما بعد هو المقدّم أيام عثمان، كما أنّه هو الذى تنبأ لمعاوية بالحكم بعد عثمان، وكان على صلة وثيقة جداً بمعاوية أيام عثمان نفسه.

وأقل ما يدل عليه هذا التنبؤ أن كعب الأحبار كان على علم بالمخطط الذى يجرى لاغتيال الخليفة، ويبدو أنه حاول تغطية الموضوع إلى حين ينجح المخطط، كما أراد أن يدفع عن نفسه شبهة التدخل. ومن زاوية أخرى فإن عبد الله بن عمر حين انتهى إليه مقتل أبيه أسرع إلى تصفية القتلة قبل التحقيق معهم، والتأكد من ارتكابهم للجريمة. وهنا ينقدح هذا التساؤل:

من الذى عرف ابن عمر بالقتلة؟ بينما لا توجد أى دلائل اثبات. وكيف استساغ أن يقتص منهم قبل اجراء أى تحقيق؟ إن ذلك يمكن تفسيره على أساس أن المتأمرين على الخليفة هم الذين أسرعوا لتحريض ابن عمر، وتعريفه بالقتلة من أجل حسم القضية، وخنقها، لتبقى العناصر الأخرى المتأمرة مجهولة، ولا يوجد تفسير آخر لذلك. وعلى أى حال فقد بدأ الباحثون المحدثون يقتربون إلى القناعة بهذه الفرضية، فرضية التآمر على الخليفة الذى استعان بأبى لؤلؤة ثم أسرع لقتله ليبقى التخطيط سراً. وكيف كان فقد نجحت قوى الانتهاز فى صرف الحكم عن على، وتغيير وجهة نظر الخليفة فيه.

فهم المرحلة:

وقد يكون من دواعى تغيير وجهة نظر الخليفة الثانى فى الإمام، وتوليته بعده، طبيعة فهمه للأحداث من ناحية، وتصوراتهِ عن الإمام من ناحية ثانية. فقد لاحظ الخليفة عمر أن الإسلام بحديثه لا يمكن أن يواصل نجاحه فى الأمة مع تزايد التقلبات الاجتماعية والاقتصادية التى تطرأ على المجتمع يوماً بعد يوم. فقد أوحى بواذر التحلل، والانغماس فى مفاهيم الدنيا وقشورها، التى شوهدت فى المجتمع الإسلامى بعد التوسعات الضخمة، أوحى إلى الخليفة عمر بن الخطاب أن الإسلام أصبح بمستوى يعجز عن ضبط الأمة، وتربيتها بالطريقة المطلوبة، كان يقول:

" اننى سننت الإسلام سنّ البعير، يبدأ فيكون جذعاً ثم ثنياً ثم رباعياً، ثم سداسياً ثم بازلاً، الا فهل ينتظر بالبازل الا النقصان، الا فإن الإسلام قد بزل ".

وكان يشهد بداية ظهور الطبقات المترفة الغنية، والتى تنفصل تدريجياً عن قيم ومفاهيم الإسلام، حتى كان يقول آخر أيامه وهو ينظر إلى ثروة بيت المال:

" أجل والله ولكن لم يعط قومٌ هذا الا ألقى بينهم العداوة والبغضاء ".

وتعمق هذا المفهوم فى نفس الخليفة.

الأمة مبتعدة عن الإسلام لا محالة.

والإسلام فى ضمور وانسحاب تدريجى.

وأنه يمثل الحلقة الأخيرة من حلقات الحكم الإسلامى.

وأصبح الخليفة الثانى شاعراً بضرورة التنازل لضغط الواقع.

مواجهة التيار أصبحت غير ممكنة والوقوف بوجه موجة التحلل عديم النفع ولا بد من حكم يقدر ظروف وطبيعة المرحلة.

يعنى: لا بد من حكم أقل حدية، وأقل التزاماً ببندو الشريعة، وأكثر تسامحاً مع هذا الإنحراف.

فى سفره إلى الشام، رأى معاوية يتقلب فى وجوه السرف والبذخ والأبهة، ويستشهد بحكم كسرى وقيصر.

فقال له: أكسروية يا معاوية؟!

والخليفة يعرف علياً، ويعرف منهج على فى الحكم.

كما كان يعرف عثمان، وميول عثمان، وطبيعة حكم عثمان.

إنّ علياً لا يحكم بغير الرسالة، ولا يحيد عن طريقة القرآن والنبي (ص).

كان يقول لأصحابه:

" انكم لعمري لا تستخلفونه، والذي نفسى بيده لو استخلفتموه لأقامكم على الحق وإن كرهتم "

ولكن فى فهم عمر أنّ المرحلة قد تجاوزت هذا المنهج فى الحكم، ولم يعد هو القادر على مواصلة التجربة بسلام.

من هنا كان يقول: " انكم لعمري لا تستخلفوه... "

أما عثمان فالخليفة يعرف ماضيه وحاضره، يعرف ظاهره وباطنه، إنّ رواسب الماضى مستحكمة فيه، وعواطفه

القلبية ما تزال حية ومهيمنة، وتعامله مع الرسالة ليس جدياً.

كان يقول له:

" كأتى بك قد قلدتك قریش هذا الأمر فحملت بنى أمية وبنى أبى معيط على رقاب الناس "

ثم إنّ عمراً يعرف قریش فى مزاجها، وفى عداها لعل.

انها لا ترضاه!

أما عثمان فهو منها، وإليها، ولا يعرف سواها.

كل تلك الأمور دعت الخليفة عمر للعدول عن استخلاف الإمام.

توجّسه من ناحية، وتحرك قوى الانتهاز من ناحية، وطبيعة فهمه للمرحلة من ناحية ثالثة.

ونحن هنا لا نريد أن نناقش هذا الفهم.

ففى رأينا أن تناقضات الحكم فى عهد أبى بكر وعمر هى التى خلقت موجة التحلل والانفلات من قيم الدين.

فسياسة التفضيل فى العطاء التى تبعها عمر هى التى خلقت الاستقراطية القرشية، وكان عمر نفسه قد شعر بهذا الخطأ حتى كان يقول آخر أيامه: " لو بقيت لسوّيت فى العطاء ".

واهمال الجانب الروحى فى سياسة الخليفين، بينما التركيز على الحروب والفتوحات، هو الذى دعا إلى الركود فى هذا الجانب، ومن ثمّ التراجع، وتفصيل الحديث فى ذلك قد تقدّم مثلاً. المهم الآن إنّ الخليفة انصرف عن الخط الشيعى.

الشورى السداسية:

والمعلوم أنّ عمراً جعل أمر الخلافة بعده إلى الشورى السداسية، التى اشترك فيها كل من "على، وعثمان، وعبد الرحمن، وطلحة، والزبير، وسعد ابن أبى وقاص" بتعيين من عمر نفسه.

والغريب أنّ بعض الكتاب يرى عمر رشّح علياً للخلافة، رغم الصيغة التى وضعها فى الشورى السداسية، وكان يريد للأمة أن تختاره من بين هؤلاء الستة ويستندون فى ذلك إلى مقالة عمر فى أبى عبيدة وسالم مولى حذيفة حيث قال: لو كان أبو عبيدة حياً لولّيته، ولو كان سالم حياً لولّيته ".

وهنا يقول الدكتور الوردى: " ان عمراً فيما أظن كان يقصد بتبنيانه فضيلة أبى عبيدة، وسالم أن يستدرج الحاضرين لذكر على وفضائله....

ويخيّل الى أنّ هذا القول من عمر كان بمثابة ترشيح غير مباشر لعلى بن أبى طالب "١، لكن لماذا لا يذكر علياً بالصراحة ويرشحه للخلافة بوضوح دون حاجة إلى الاستدراج والدوران؟ وإذا كان مستعداً لتولية أبى عبيدة وسالم فلماذا لا يولّ على بن أبى طالب دون أن يجعلها فى ستة أحدهم على؟

ولماذا كان بالأمس القريب يذكر علياً، ويعزم على استخلافه، وها هو اليوم ينسأه، وإنّما يتوسل لذكره بذكر أبى عبيدة وسالم كما زعم الدكتور الوردى؟ ولو كان يريد ترشيح على لجعل الشورى بصيغة عادلة ومتكافئة، دون أن يجعل كفة على هى المرجوحة، وينيط الكلمة الأخيرة برأى عبد الرحمن بن عوف المعروف ميله إلى عثمان.

حتى أنّ الإمام على علّق على مجلس الشورى بالقول: " والله لقد ذهب الأمر مثلاً.

فقال العباس: وكيف قلت ذلك يا ابن اخى؟

١ - وعاظ السلاطين: ١٩٩ - ٢٠٠.

فقال: انّ سعداً لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن، وعبد الرحمن نظير عثمان، وصهره، فأحدهما لا يخالف صاحبه محالة، وإن كان الزبير وطلحة معي فلن انتفع بذلك إذا كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين.

لقد كان واضحاً انّ الصبيغة التي وضعها عمر لمجلس الشورى لم تكن في صالح على أبداً، بل لم يكن موقع على فيها موقعاً متكافئاً مع موقع عثمان.

ومن هنا لاحظ كثير من الكتّاب انّ الخليفة مهّد لعثمان بالصبيغة التي وضعها في الشورى.

ولعل هذا هو الذي يفسّر لنا تنبؤ عمر بولاية عثمان بعده، وعدم ولاية على أما موقف الشيعة من هذه الشورى:

فقد اقترح العباس على الإمام أن لا يشترك فيها.

لكن علياً رفض هذا الاقتراح، لماذا؟

لأن أحداً من هؤلاء الستة - سوى على - لا يستطيع أن يقف ضد جبهة عثمان. فسعدٌ وعبد الرحمن معه، وطلحة والزبير لنن لم يوافقاه فانهما سيختلفان بينهما، ولنن اتفقا على احدهما فذلك لا ينفع بعدما كانا اثنين، وجبهة عثمان ثلاثة، وفيها عبد الرحمن.

وحينذاك فالأمر صائر إلى عثمان لا محالة.

ولا يوجد أي أمل في الرجوع إلى على، إذ ستحسم المسألة بدونه وبكل بساطة. ومن سيعذر الامام؟

إنّ النقمة التي صبّت على عثمان ستصبّ على على بالذات، لأنّه مهّد لعثمان يوم اعتزل الشورى، هكذا في فهم الناس، وهكذا هو الواقع لو اعتزل الإمام.

فالإمام إذن هو المسؤول، وهو الباب الذي دخل منه عثمان لمنصب الحكم، وكل الانحرافات، والجرائم، والتعديّات، سيرى فيها على، قبل أن يرى فيها عثمان نفسه، هكذا سيقول الناس.

وسيقول الناس بكلّ حرارة، لماذا يا على؟

لماذا تركت الأمر لعثمان؟ وورطت الأمة بحكمه، وحكم الجهاز الأموي؟

لماذا تنصّلت عن المسؤولية؟

لماذا لم تتناوش الحكم وأنت منه قريب؟ ومن سيعارضك لو دخلت مجلس الشورى؟

فأنت يا على صنعت المأساة، وصنعت الانحراف، وأعطيت للجهاز الأموي العثماني مفاتيح الأمة والرسالة.

ولا أحد يصدّق انّ عثمان سيحكم، دخل على مجلس الشورى أو لم يدخل بأى برهان؟ وبأى دليل؟ لا أحد يقتنع في غمرة النقمة، والحماس، والتأثر.

وهناك يخسر على وجوده فى الناس، يخسر خطه فى الأمة، ولا يكون هو رمز المعارضة الرسالية الهادفة، كما أراد أن يكون.

ثم: ماذا يفسر الناس موقف الإمام؟

سيقولون: إنّ علياً لا يريد الحكم، أو يقولون: أنّه لا يعرف مداخل الحكم، ولا يملك موهبة الرجل السياسى.

وعلى كلا القولين يكون على قد جرّ لنفسه خسارة، أيّة خسارة! فالأمة تريد الرجل القائد ولا تريد الرجل الرهبان.

والأمة تريد الرجل السياسى لا الرجل البليد.

وعلى لو كان قائداً، وسياسياً لاشارك فى مجلس الشورى! أمّا حيث اعتزل فهو رهبان لا رجل سياسة.

وسيسقط على أيضاً.

على إنّ الامام - وفى المقاييس الطبيعية - يجب أن يفكر فى النجاح لو دخل المجلس! ويأمل فيه ولو أملاً ضعيفاً خافتاً.

وهذا الأمل لا يجوز تضييعه، بعرف الرسالة، وعرف السياسة معاً.

وبهذا الأمل تحرك الإمام وتحرك الشيعة معاً.

أمّا الإمام فقد كان أخطر شىء عليه أن يجتمع عثمان وعبد الرحمن وسعد، وحينذاك سيكون الأمر لعثمان لأن عبد

الرحمن معه، وكلمته هى الفصل فى الصيغة التى جعلها عمر للشورى.

ثم هو آمن من جهة الزبير وطلحة، المجال مفتوح لكسبهما.

ومن هنا فقد سعى الإمام سريعاً لعزل سعد من جبهة عثمان. أتى إليه ومعه الحسن والحسين فقال له: " يا أبا اسحاق:

أتى لا أسألك أن تدع حقّ ابن عمك بحقى، أو تؤثرنى عليه فتبايعنى وتدعه، لكن إن دعاك إلى أن تكون له ولعثمان

ثالثاً فأنكر ذلك.

فقال سعد: لك ما سألت "

كم رائعة هذه المبادرة من الإمام؟!

وكم رائعاً الأسلوب الذى جرى عليه الإمام، حتّى ملك فكر سعد وعواطفه معاً، فقال: لك ما سألت!

وتجاوز الإمام هذه الخطوة.

فجاء إلى عبد الرحمن بن عوف نفسه، فأحلفه على أن لا يميل إلى هوى، وأن يؤثر الحق، وأن يجتهد للأمة، وأن لا

يحابى ذا قرابة.

وحلف له عبد الرحمن.

ولو صدق فى هذا الحلف لكان لا يحيد عن على.

لكنه لم يكن ليؤثر الحق على العاطفة، والرسالة على الهوى، وأخيراً مال إلى عثمان.

أما سعد: فقد أتاه عبد الرحمن قاتلاً: هلمّ فلنجتمع.

فقال سعد: إن كنت إنما تريد الأمر لعثمان فعلى أحقّ بالأمر، وأحبّ إلى من عثمان.

وشاعت الأقدار، بل شاعت صيغة الشورى التى وضعها عمر، أن لا يرجع طلحة من سفره.

ومن هنا خسر على.

إن عبد الله بن سرح نادى فى الناس: " أيها الملاء إن أردتم أن لا تختلف قريش فيما بينهم فبايعوا عثماناً.

فقال عمار: إن أردتم أن لا يختلف المسلمون فيما بينهم فبايعوا علياً...

ما أنت وهذا أيها المنافق؟

إن الله والناس يعلمون إنك ما زلت تكيد للإسلام وتبغى له الشر ". .

أما شيعة على فقد نشطوا فى ترجيح كفة الإمام أى نشاط.

لكنهم لا يملكون مهما بذلوا ومهما نشطوا أن يحبطوا تخطيطاً وضع لخدمة عثمان، وتمهيداً لحكم عثمان.

لكنهم تحركوا على أى حال بأمل الانتصار.

وكما تحرك شيعة على، تحرك شيعة عثمان، وتحركت قوى الانتهاز كلها أنظروا:

أقبل المقداد والناس مجتمعون فقال: " أيها الناس اسمعوا ما أقول: أنا المقداد بن عمرو، وإنيكم إن بايعتم علياً سمعنا

وأطعنا، وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا ". .

فقام عبد الله بن ربيعة بن المغيرة المخزومي فقال:

أيها الناس إنكم إن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا، وإن بايعتم علياً سمعنا وعصينا.

فقال له المقداد: يا عدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه، ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون؟! .

فقال له عبد الله: يا ابن الحليف العسيف ومتى كان مثلك يجترئ على الدخول فى أمر قريش ". .

عجيب!! أمر قريش وحدها لا أمر الإسلام والمسلمين، فكأنما الدولة دولة قريش.
